ولدينا كل الحق للاعتقاد بان تلك المبارزة الكلامية قد خدمت بصورة لا مثيل لها هذا المنهج المنحاز ، ومن المؤكد ان مثل هذا العمل ليس نتيجة لمؤامرة شيطانية او تخطيط سري ، ولكنه نتاج منطقي للبنية السياسية والايديولوجية التي تحرك اجهزة اعلام من هذا الطراز .

اننا بصورة اجمالية ، ورغم كل تجاربنا ، لم نستوعب بعد مدى انحياز وسائل الاعلام البورجوازية للحركة الصهيونية التي تراها كجزء حيوي من منطقها وتطلعاتها — وحسن ظن الكثير منا بكمية وجدوى المظاهر الديمقراطية الحرة في وسائل الاعلام هذه ، وطابع « البرلمانية » و « الحوار » الذي تمنحه لنفسها هو في الواقع نتيجة لمدى تغلغل سطوة هذه الوسائل الاعلامية في عقول بعضنا .

انني أجرؤ على القول ، من خبرة مادية وواقعية ، ان هدر مئات الساعات مع الاف من الصحفيين والاذاعيين الاجانب ، خلال السنوات الماضية قد أدى الى نتائج تكاد لا تذكر — والشيء الوحيد الفعال هو حجم العمل المسلح والعمل السياسي في أرض المعركة ذاتها ، وليست هذه الملاحظة بعيدة عن موضوعنا ، اذ ان مقابلة كل صحافي وكل اذاعي هي في الواقع حلقة من الجدل العنيف ، هي — لو شئنا — شكل من أشكال المبارزات الكلامية . فالاحرى ان يقوم هؤلاء الاعلاميون بفتح مسرحهم امام تمثيلية بين طلبة عرب وطلبة اسرائيليين . فذلك مشهد ليس فقط عديم النفع ، ولكنه ضار بالنسبة لنا .

ان مقاطعة العدو ، ورفض حوار الاقناع معه من خلال المبارزات الكلامية ، هو في حد ذاته موقف . هو وجهة نظر . هو شكل من اشكال الصدام .

ومع ذلك ، فان هذا الشكل الاعلامي (اي الحوار الكلامي مع العدو) هو شكل واحد فقط من بين عدد كبير من الاشكال الاعلامية التي يمكن لنا ان نستخدمها في الغرب ، شرط ان يظل هذا الاستخدام مشدودا الى الحقيقة الجوهرية التالية : ان تغيير ميزان القوى الاعلامي في الغرب لا يحدث الا في ميدان القتال .

اذا استوعبنا هذه الحقيقة استيعابا عميقا وجيدا ، صار بوسعنا معرفة ما هو أصح ازاء الاشكال الاعلامية المختلفة التي يتعين علينا انتهاجها : ان أي شبكة تلفزيونية ليست مستعدة لاعطاء اي فلسطيني ، في حال سكون الثورة ، دقيقة واحدة ليعبر فيها عن رأيه — ولكن هذه الشبكات ترغم ارغاما على فتح شبكاتها امام صوت المقاومة حين يصبح الحجم القتالي والسياسي لهذه المقاومة من الكبر بحيث يدخل ، او يمس ، الاطار اليومي لحياة الناس في الغرب . وعندها لا نعود بحاجة الى تقديم مشهد مسل من مشاهد المبارزات الكلامية ، مع عدونا المنصرف الى قتل شعبنا واستعباده ، امام اميركي او سويدي او الماني يتعشى « الهوت — دوغ » امام شاشة التلفزيون ، ولا يختلف الامر عنده ان ذهب العرب الى الصحراء أو ذهبوا الى جهنم ، مهما كانت قدرة المجادل العربي على الحذلقة !

ان عملنا الاعلامي في الغرب يجب ان يستند على الاصدقاء ، على الحركة الثورية في البورجوازيات الغربية ، ولا يمكن ان يتكون رأي عام عالمي يقف الى جانبنا دون جهد هذه القوى اليسارية ، وتبنيها للقضية ، وبوسع هؤلاء الاصدقاء ان يقرروا عند ذاك ، على ضوء الواقع الذي يعيشونه في مكان معين وزمان معين ، الاشكال الافضل للمعركة الاعلامية .

ان الاعلام معركة — هكذا يقول لينين — وبالنسبة لنا فان معركتنا الاعلامية لا تحقق انتصارا اذا ما جرى خوضها من خلال المبارزة الكلامية مع العدو امام رأي عام في مجمله منحاز ، وعلى شبكات اذاعية وتلفزيونية تقف جوهريا ضد قضايانا .